شرح معاني الآثار

(الفهارس العامة)

١

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للدار

الطبعة الأولى
مُنقحة ومُرقّمة ومُفهرسة
١٤١٤هـ - ١٩٩٤م

شرح معاني الآثار

للإمام أبي جعفر، أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك
ابن سلمة الأزدي الحجري المصري الطحاوي الحنفي
(المولود سنة ٢٢٩ هـ - والمتوفى سنة ٣٢١ هـ)

حققه وقدم له وعلق عليه
محمد زهري النجار — محمد سيد جاد الحق
من علماء الأزهر الشريف

راجعه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وفهرسه
د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي
الباحث بمركز خدمة السنة النبوية بالمدينة المنورة

الجزء الأول

عالم الكتب

بيروت - المزرعة - بناية الإيمان - الطابق الأول - ص.ب ٨٧٢٣-١١
تلفون: ٣٠٦١٦٦-٣١٥١٤٢-٣١٣٨٥٩ - برقيا: نابعلبكي - تلكس: ALAMKO ٢٢٢٩٠

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المُصَحِّح

الحمد لله الذي أنزل على عبده الفرقان ليكون للعالمين نذيراً، والصلاة والسلام على أشرف من بُعث للناس فكان سراجاً منيراً، ورضوان الله على أصحابه ومن اهتدى بهديهم رضواناً كبيراً، وبعد:

فهذا كتاب «**شرح معاني الآثار**» للإمام أبي جعفر الطحاوي، أحد مصادر الحديث النبوي الشريف المعتبرة، والذي عَدَّهُ الحافظُ ابنُ حجر العسقلاني في كتابه: «**إتحاف المهرة بأطراف العشرة**» أَحَدَ الكتب الحديثة العشرة، التي تلي الكتب الستّة، من حديث كونها مظنّة الحديث الصحيح، فضلاً عن كونه جمع بين دفّتيه فقه الحديث، وحسن الاستنباط، وتكلم فيه على طريقة الأصوليين، مما يدلّ على إمامة صاحبه، وعلو رتبته في الاجتهاد، وعلاوةً أيضاً على اشتماله على فوائد حديثية، وأقوال في الجرح والتعديل تساعد على قبول الأخبار وردّها، فكان هٰذا الكتاب جديراً بالدراسة، والعناية والاقتناء.

ظهرت الطبعة الأولى لهٰذا الكتاب في لكنو بالهند عام ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م في مجلدين، وتضافرت على تصحيحه جهود علماء الهند وأجلّة مشايخها، وعلى رأسهم المولوي وصي أحمد، سلمة الصمد السورتي الحنفي، لكن هٰذه الطبعة حَفَلَتْ بالأخطاء العلمية والمطبعية الكثيرة، من تصحيف وتحريف، وزيادة ونقص.

فمن أمثلة السقط من متون الأحاديث ما وقع في الحديث (٢٣٣٤)قولـه: [ما أُلقِيَتْ عليَّ نَوْمَةٌ مِثلُها قَطّ، قال رسول الله ﷺ] وقد أخلّ سقوطها بالمعنى، جعل قَوْلَ النبي ﷺ كأنه من قول بلال، ومثله كثير جداً في مواضع متفرقة من الكتاب.

ومن أمثلة السقط من الأسانيد ما وقع في الأحاديث (٨١/أ) و(١٣٦) و(١٦٧) و(٢٨٩)...

ومن أمثله التصحيف في الأسماء قوله في الحديث (١٩): «المقراك» وصوابه «المُعَارك».

وقوله في الحديث (٢٤): «حدثنا بحز» بالزاي المعجمة، وصوابه «بحر» بالراء المهملة.

وقوله في الحديث (٥٠): «صالح بن حيان» بالياء، وصوابه «حسان» بالسين.

ومن أمثلة الزيادة ما جاء في الحديث (١٥) قوله: «وحدثنا علي بن معبد بن سيرين نوح» صوابه بدون «سيرين».

وقوله في الحديث (١٣١): «ثنا أبو الوليد مسلم» صوابه بدون «أبو».

ومن أمثلة الأخطاء المطبعية قوله في الحديث (٤٥): «قال كبشة» وصوابه: «قالت».

وقوله في الحديث (٧٢): «عن محمد؛ عن عمرو» وصوابه «عن محمد بن عمرو»... وغير هٰذا كثير جداً مما أفسد الكتاب وأضعف الثقة به، وحمل أحد علماء الهند وهو: «محمد أيوب المظاهري السهارنفوري»

على جمع أخطاء الكتاب الكثيرة في مجلدين من القطع الكبير سماه: «**تصحيح الأغلاط الكتابية الواقعة في النسخ الطحاوية**».

ثم أعيد طبع الكتاب بمطبعة الأنوار المحمدية في القاهرة عام ١٣٨٨هـ في أربع مجلدات وقام بتصحيحها محمد زهري النّجار ومحمد سيّد جاد الحق، وهما من علماء الأزهر، فكان المرجو أن تكون هذه الطبعة أفضل من سابقتها من حيث سلامة نصوصها من التحريف والسقط، لكن تبيّن فيما بعد أنها لم تكن أحسن حالاً من الطبعة الهندية لأن المصحِّحَيْنِ المذكورَيْن اعتمدا على الطبعة الهندية المشحونة بالأخطاء، ولم يكونا على علم بكتاب تصحيح أخطائها، فضلاً عن أخطاء مطبعية أخرى كثيرة جديدة وقعت في طبعتهما، سامحهما الله، وأحسن إليهما. فبقي الكتاب بحاجة لطبعة علمية صحيحة سليمة من الأخطاء.

وقد أشار عليّ أحد مشايخي حفظه الله أن أنهض لخدمة الكتاب، وشجعني كثيراً لهذا العمل، فاستعنتُ بالله ـ رغم بضاعتي المُزْجَاة في العلم ـ وبادرتُ أبحث عن كتاب تصحيح أخطائه، إلى أن وفّقني الله في الحصول عَليه، وآثرتُ أن أصحح الطبعة المصرية لكون حروفها مجموعة على الآلة المطبعية، وّرُحتُ أحسِب مكان كل خطإ في الطبعة الهندية لأصححه في مكانه من الطبعة المصرية، حتى إذا استنفدتها جميعاً، أضفتُ إليها تصحيحات كثيرة ظهرت لي أثناء مراجعة الكتاب ومقابلته بكتاب «**إتحاف المهرة بأطراف العشرة**» وتخريج أحاديثه من الكتب الأصول. انظر مثلاً الأحاديث (٣٩٥٩) و(٦١٧٧) و(٧٣٠٢)...

كما صحّحتُ أسماء رجال كثيرة استفدتها من كتاب «**مغاني الأخيار في رجال معاني الآثار**» ومن كتب الرجال الأخرى «**كتهذيب الكمال للمزي**» و«**التقريب لابن حجر**» انظر مثلاً الأحاديث (١٦٧) و(٢٩٦) و(٩٧٠) و(٢٣٦٣)... وأخطاء أخرى كثيرة ظهرت لي أثناء وضع فهارس الكتاب ومقابلة نصوص الكتاب بعضها مع بعض، انظر مثلاً الحديث (٢٩٥٦)...

وقد أشرتُ للسقط الواقع في الطبعات القديمة بوضعه ضمن حاصرتين هكذا [ ]، انظر مثلاً الحديث (٢٣٣٤) و(٢٧٦٤) و(٥٤٠٧)... وأضفتُ تعليقات جديدة فيها ذكر مصادر التصحيح، انظر مثلاً الأحاديث (١٥٤) و(١٥٧٨)، وعدّلتُ بعض التعليقات القديمة التي فيها اختلاف النسخ، وحذفتُ أخرى لعدم الحاجة إليها بعد التصحيح، انظر مثلاً الحديث (٧٧).

وقد أضفتُ لَمَساتٍ فنّيّة للكتاب تزيده رونقاً وبهاءاً، فرقّمتُ أحاديثه، وكتبه، وأبوابه بأرقام متسلسلة، ووضعتُ في رؤوس صفحاته مضامينها بذكر الكتاب والباب. وأضفت علامات الترقيم المتعارف عليها في عصرنا، من النقط، والفواصل، وعلامات التعجب والاستفهام.

ثم قمتُ أخيراً بوضع فهارس علميّة للكتاب، تساعد الباحث فيه بالحصول على مسألته منه بسهولة ويسر، فوضعتُ فهرساً لآياته القرآنية الشواهد، حسب ترتيبها في المصحف الشريف، وآخر لأحاديثه المرفوعة، وآخر لآثاره الموقوفة والمقطوعة والمرسلة، وآخر لمسانيد الصحابة على حروف المعجم على طريقة الأطراف، جمعتُ فيه مرويات كل صحابي ضمن الكتب والأبواب، وآخر لمشايخ الإمام الطحاوي على حروف المعجم. جمعت فيه مرويات كل شيخ في الكتاب، وآخر لمسائله الفقهية على طريقة المعاجم، وآخرها جعلته جامعاً للأخطاء التي قمت بتصحيحها في الكتاب، لمن أراد أن يصحح نسخة قديمة عنده.

وفي الختام، أسأل المولى العليّ العلاّم أن يتقبّل عملي هٰذا، وأن يجعل ثوابه في صحائف أعمالي، وأن يغفر زلاتي فيه، فالكمال لله وحده، وأرجو القارىء معذرتي عمّا قصّرت فيه، فهذا جهد المقلّ، وأرجوه دعوة صالحة لي بظهر الغيب بالرحمة والغفران، وإنني أرجو بهذا العمل شفاعة الحبيب المصطفى ﷺ يوم العرض الأكبر، والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد.

وكتب يوسف المرعشلي

نزيل المدينة المنورة في ٢٤صفر ١٤١٣هـ

مقدمة الطبعة المصرية

تقديم وتعريف بالكتاب

بقلم المحقق

كانت مصر في القرن الثالث الهجري، ولا تزال قبلة العالم، ومحط رجال العلماء، بما أنجبت من قادة الفكر، وجهابذة العلم، الذين توفروا على دراسته فضربوا بسهم وافر في تحصيله، ونشروا لغة العرب وآدابها، وبعثوا المعرفة من جدتها، حتى عد القرن الثالث الهجري، عصر الحضارة الإسلامية الزاهرة التي تفجرت ينابيعها، والعلم النافع الذي سارت طلائعه إلى أقصى بلاد المعمورة.

ونظرة إلى مصر في تلك المرحلة من تاريخها، ترينا إلى أي حد بلغت غايتها من التقدم والرقي، حتى صارت حديث الركبان في كل مكان، وإذا حق لأمة من الأمم أو شعب من الشعوب، أن يتيه فخراً بالنوابغ من أبنائه، ويشيد بفضلهم، ويعطر الدنيا بذكرهم، فإن مصر في طليعة الأمم التي سعدت بأبنائها الغر الميامين، الذين تطامن لهم جبين الدهر، وحلقوا فوق مناط النجم.

فمن بين هؤلاء جميعاً، من تعقد الخناصر على فضله، الإمام الكامل، والعالم الفاضل، أبو جعفر الطحاوي، زين الفضائل، وزينة المحافل، بدر المجامع، وغرة المجالس، والمقدم بين يدي الملوك، والخلفاء، والأمراء.

والطحاوي، نسبة إلى طحا، قرية من صعيد مصر، ولكنا نرى ياقوت، والسيوطي يقولان: إنه من طحطوط ولخفة النطق نسب إلى طحا.

وقد تعددت في مصر بلاد تحمل هذا الاسم، منها طحابوش، وطحا البيشا، وطحا العمودين، وطحا المرج، وطحانوب، والتي كانت مسقط رأسه، من بين تلك البلاد هي: طحا العمودين، أو طحا الأشمونين، بين البحر الأعظم واليوسفي، من أعمال منية ابن خصيب، ويعرفه النسابون بأنه: أبو جعفر، أحمد بن محمد بن سلامة، الطحاوي، الحُجْري، الأزْدي.

والحجر فخذ من أفخاذ قبيلة الأزد، باليمن. هاجر منها أجداده بعد الفتح الإسلامي، واستقروا في مصر، وفي رحابها ولد أبو جعفر الطحاوي، كما يقول السمعاني في الأنساب، ليلة الأحد لعشر خلون من ربيع الأول سنة تسع وعشرين ومائتين، وتوفي في ذي القعدة سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة وبهذا يكون قد عاش اثنتين وتسعين سنة.

عصر الطحاوي

وقد عاصر الطحاوي أحمد بن طولون، الذي كان يتردد عليه لوعظه وتذكيره، وعاصر الجيار أبا منصور تكين الجزري، الشهير بالجيار، الذي كان أمير مصر في زمنه.

وهو الذي دخل على الطحاوي يوماً ففزع منه، وملك الرعب قلبه، ولكن أبا منصور لاطفه وأكرمه وأحسن إليه، ثم قال له: يا سيدي، إني أريد أن أزوج ابنتي فماذا ترى؟ فقال له الطحاوي: لا أفعل! فقال: ألك حاجة إلى المال؟ قال: لا. قال: فهل أقطع لك أرضاً. قال: لا. قال: فاسألني ما شئت؟ قال: وتسمع؟ قال: نعم.

قال: احفظ دينك، لئلا ينفلت، واعمل في فكاك نفسك، قبل الموت، وإياك ومظالم العباد.

ثم تركه ومضى، فكان ذلك سبب رجوعه عن ظلمه لأهل مصر.

ويقول البدر العيني في عقد الجمان، في شأن معاصرة الطحاوي لأصحاب الصحاح والسنن، كان عمر الطحاوي حين مات أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صاحب الصحيح، سبعاً وعشرين سنة، لأن البخاري مات سنة ست وخمسين ومائتين، وكان عمره حين مات مسلم بن حجاج، صاحب الصحيح، اثنتين وثلاثين سنة لأن مسلماً مات سنة إحدى وستين ومائتين.

وشاركه الطحاوي في روايته، عن بعض شيوخه، وكان عمره حين مات أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي صاحب الجامع خمسين سنة، لأن الترمذي مات سنة تسع وسبعين ومائتين، وكان عمره حين مات أحمد بن شعيب بن علي النسائي، أربعاً وسبعين سنة لأن النسائي مات سنة ثلاث وثلاثمائة، وشاركه أيضاً في روايته.

وروى الطحاوي عنه أيضاً، وكان عمره حين مات محمد بن يزيد بن ماجه، صاحب السنن، أربعاً وأربعين سنة لأن ابن ماجه، مات في سنة ثلاث وسبعين ومائتين.

وشاركه أيضاً في روايته عن بعض شيوخه، وكان عمره، حين مات ابن حنبل اثنتي عشرة سنة، لأن أحمد بن حنبل، مات سنة إحدى وأربعين ومائتين، وكان عمره حين مات يحيى بن معين، أربع سنين، لأن يحيى بن معين مات سنة ثلاث وثلاثين ومائتين.

وفاة نجوم العلم في عام واحد

يعتبر فجر القرن الرابع الهجري، مطلع حزن على الأمة الإسلامية لوفاة كواكبها حيث توفي أبو جعفر الطحاوي، مسند مصر ومحدثها، وبها أيضاً مات شيخها، أبو بكر أحمد بن عبد الوارث بن جرير الأسواني العسال، وبهراة أبو علي أحمد بن محمد بن علي بن رزين الباساني، وبأصبهان أبو علي الحسن بن محمد بن النضر بن أبي هريرة، وببغداد أبو عثمان سعيد بن محمد، أبو زبير الحافظ، وشيخ المعتزلة، أبو هاشم ابن الشيخ أبي علي الجبائي، وشيخ العربية أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، عن ثمان وتسعين سنة، وأبو الحسن محمد بن نوح الجنديسابوري، أحد الأثبات، ومكحول البيروتي الحافظ.

شيوخه

أخذ عن هارون بن سعيد الأيلي، وعبد الغني بن رفاعة، ويونس بن عبد الأعلى، وعيسى بن مشرود، ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم، وبحر بن نصر وطبقتهم.

ومن تلامذته أحمد بن القاسم الخشاب، وأبو الحسن محمد بن أحمد الإخميمي، ويوسف الميانجي، وأبو بكر بن المقرىء، والطبراني، وأحمد بن عبد الوارث الزجاج، وعبد العزيز بن محمد الجوهري، قاضي الصعيد، ومحمد بن بكر بن مطروح، وآخرون.

وخرج إلى الشام سنة ثمان وستين ومائتين فتفقه بالقاضي أبي خازم وبغيره.

ثناء العلماء عليه

قال أبو سعيد بن يونس: كان الطحاوي ثقة، ثبتاً، فقيهاً، عاقلاً، لم يخلف مثله، وكذا قال الحافظ بن عساكر وقال حافظ المغرب أبو عمر بن عبد البر:

كان الطحاوي كوفي المذهب، كان عالماً، يجمع مذاهب الفقهاء، وفي تاج التراجم، قال ابن عبد البر في كتاب العلم: كان من أعلم الناس بسير الكوفيين، وأخبارهم، مع مشاركته في جميع مذاهب الفقهاء.

وقال السمعاني: كان الطحاوي ثقة، ثبتاً.

وقال ابن الجوزي في المنتظم: كان الطحاوي ثبتاً، فهماً، فقيهاً عاقلاً، وكذا قال سبطه في مرآة الزمان، وقال الذهبي في تاريخه الكبير: الفقيه، المحدث، الحافظ، أحد الأعلام، وكان ثقة ثبتاً، فقيهاً، عاقلاً، وقال ابن كثير: هو أحد الثقات الأثبات، والحفاظ الجهابذة.

وقال الصلاح الصفدي في الوافي: كان ثقة، نبيلاً، ثبتاً فقيهاً، عاقلاً، لم يخلف بعده مثله، وقال اليافعي: برع في الفقه، والحديث، وصنف التصانيف المفيدة، وقال السيوطي، الإمام العلامة، الحافظ، صاحب التصانيف البديعة. وكان ثقة، ثبتاً، فقيهاً، لم يخلف بعده مثله.

وأثنى عليه الطبراني، وأبو بكر الخطيب، وأبو عبد الله الحميدي، والحافظ المزي.

تصانيفه

أما تصانيفه فكثيرة، مفيدة، غزيرة الفوائد، ولا سيما كتابه «معاني الآثار» وهو كتاب ألف في المحاكمة بين أدلة المسائل الخلافية، حيث يسوق بسنده الأخبار التي يتمسك بها أهل الخلاف في تلك المسائل.

ويخرج من بحوثه بعد نقدها إسناداً، ومتناً، رواية، ونظراً بما يقتنع به الباحث المنصف، فهو خير كتاب في التفقيه، وتعليم طرق التفقه، وتنمية ملكة الفقه، فلو نظر فيه المنصف، وتأمله لوجده، راجحاً على غيره من كتب الحديث المشهورة، ويظهر له رجحانه، بالتأمل في كلامه وترتيبه.

ولا يشك في هذا إلا جاهل أو معاند، وأما رجحانه على نحو سنن أبي داود وجامع الترمذي وسنن ابن ماجه، فظاهر لا شك فيه، وذلك لزيادة ما فيه من بيان وجوه الاستنباط، وإظهار وجوه المعارضة، وتمييز الناسخ من المنسوخ، فهذه هي الأصل وعليها العمدة في معرفة الحديث.

وأما سنن الدارقطني أو الدارمي، أو البيهقي، أو غيرها، فلا يقاس قدرها بقدره، ولا يقارب خطوها خطوه.

وكان هذا الكتاب كنزاً مخفياً ودراً مغيباً في أصدافه، عزت نسخه، حتى كاد يلحق بالمخطوطات، فألهم الله الغيور على دينه، الذي تعهد بحفظ السنة من الضياع، الرجل المؤمن الحاج علي مرسي أبو العز، صاحب مطبعة الأنوار المحمدية ٤ درب الطوابة بباب الخلق بمصر، أن يقوم على نشر هذا الكتاب وإبرازه إلى عالم الوجود.

فوقف نفسه، وماله، وصحته، على خدمة سنة رسول الله ﷺ، وسير السلف الصالح من الأُمة الإسلامية، لا يبغي من الدنيا متاعاً، ولا زخرفاً لماعاً، وكل أمانيه أن يعود للإسلام ماضيه، وأن تعود للعلم مكانته وجلاله.

وتوفرت الهمة على إخراجه، وسار في طريقه غير هياب، ولا وجل، وشاء الله أن ينتهي بي المطاف إلى مطبعة الأنوار المحمدية في طريقي إلى زيارة أحد الأصدقاء، فانعطفت إلى حيها ودخلت ساحتها، فرأيت باكورة الكتاب في يد أحد العمال.

وكم كانت غبطتي حينما تحققت أمنيتي، فسجدت لله شكراً على نعمة التوفيق، لإخراج هذا الكتاب، الذي يعد بحقّ ذخيرة المكاتب، ودرة لامعة في جبينها.

وما إن عرض علي صاحب مطبعة الأنوار المحمدية، المساهمة في إخراج الكتاب، حتى لبيت الدعوة وحققت الرغبة، وأقبلت على مراجعة الكتاب، وتحقيقه، من الملزمة الحادية عشرة، أما ما سبق من أول الكتاب فقد وكل عمله إلى غيري وكل يعمل على شاكلته.

ويقوم معي على خدمة هذا الكتاب الرجل الصادق الحافظ الحجة الشيخ عبد العظيم مرسي عوض إبراهيم الشناوي، فله الفضل في مساعدتي في إخراج هذا الكتاب، حتى يأخذ مكانته بين عالم الكتب.

والعون من الله، والتوفيق منه، أسأله أن يهيىء لنا من أمرنا رشداً، وأن يكتب لنا التوفيق، والسداد، حتى تقر أعيننا، وتطيب نفوسنا، وأن نجني ثمرة ما غرسناه من ضروب الحكمة، وألوان المعرفة، إنه على ما يشاء قدير.

محمد سيد جاد الحق

مقدمة الطبعة الهندية [1]

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة الامام الهمام ابي جعفر الطحاوي الحنفي المصري

صاحب معاني الآثار

الحمد لله الذي شيد أعلام الدين الحنيفي بكتابه المبين وأحكم أصول أحكامه بمحكمات بيناته الموجبة للبيقين والصلاة والسلام على نبيه المبعوث إلى كافة العالمين الذي بعثه في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين .

فمحا بأحاديثه — الباهرة الظاهرة الفائحة اللائحة المشهود لها بأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى — ريب المرتابين وما حاك في صدور المبتدعين وصحح بصحاح حديثه سقم قلوب العاملين ورفع بطرق حسانه أعلام الدين.

فترى الإسناد في الروايات للعدول الثقات العارفين سبباً متصلا إلى اللحوق بسيد المرسلين خاتم النبيين وموجباً للنجاة والفوز بما فاز به الفائزون من حملة الشريعة وأساطين الدين .

فطوبى لمن اعتصم بحبل الله المتين واستمسك بعرى أحاديث خير المبلغين فإنه الفوز العظيم والتشريف الجسيم وبعد ، فاعلم — وفقك الله وإيانا وجعل آخرتنا خيراً من أولانا — أن علماء الدين والأئمة المجتهدين بذلوا جهدهم في تحقيق المسائل الشرعية وتدقيق النظائر الفرعية واستنبطوا أحكام الفروع عن الأدلة الأربعة . فاتفاقهم حجة قاطعة ، واختلافهم رحمة واسعة ، قوام الدين بهم وثبات الشرع بفقههم .

فمنهم أصحاب الطبقة العالية في الاجتهاد ، وهم الذين صادف الدين منهم أقوى عماد ، وضعوا المسائل على حسب قواعد أصولهم ، وهذبوا مسائل الاجتهاد مع تنقيح طرق النظر على مذاهبهم ، يستبدون في استنباط الأحكام من الكتاب والسنة والإجماع والقياس من غير تقليد في الأصول ولا في الفروع لأحد من الناس ، وأحوالهم متفاوتة في اشتهار مذاهبهم واعتبار مشاربهم .

فمن شاع مذهبهم في الأعصار واشتهر آثار علمهم في الأقطار والأمصار ، إمامنا الأعظم ، وهمامنا الأقدم الأفخم ، نعمان الكوفي ، ومالك بن أنس ، ومحمد بن إدريس الشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وسفيان الثوري ، وابن أبي ليلى محمد بن عبد الرحمن ، وعبد الرحمن الأوزاعي .

ولكن الله خص من بينهم الأئمة الأربعة ، أبا حنيفة ، ومالكا ، والشافعي ، وابن حنبل ، بحيث منع العلماء تقليد غيرهم إذ لم يدر مثلهم في غيرهم من المجتهدين إلى الآن لاندراس مذاهبهم ولانقراض أصحاب غيرهم وتعذر نقل مذاهبهم .

والحاصل أن هؤلاء الأربعة الجلة انخرقت بهم العادة على معنى الكرامة عناية من الله لهم إذا قيست أحوالهم بأحوال أضرابهم .

فاشتهار مذاهبهم في ظهور الآفاق ، واعتبار أصولهم وفروعهم في بطون الأوراق ، واجتماع القلوب على الأخذ بها

(١) كتب هذه المقدمة مصحح الطبعة الهندية الشيخ المولوي وصي أحمد سلمة الصمد.

مرّ الدهور دون ما سواها ، مما يشهد بصلاح نيتهم ، وحسن طويتهم ، وجليل سيرتهم ، وجميل سريرتهم .

لاسيما الإمام الأعظم ، والقرم الهمام الأقدم ، سراج الملة ، وقمر الأئمة ، أبو حنيفة بن ثابت ، ثبته الله فى أخراه بالقول الثابت .

قد خصه الله بعنايته ، وجمع من الفضائل فى ذاته مالم يجمع نبذاً منها فى غيره ، مع كونه من التابعين وسادتهم دون غيره وجعله مقتدى شريعته إلى آخر الدهر ونهايته، حتى شاع علمه واشتهر مذهبه لكثرة المجتهدين فى ذاهبى مايذهبه وأظهر علوم الشرع بين المسلمين ونشر أحكام الفروع بين المؤمنين .

فإنه أول من فرع فى الفقه وألف ، وقد كتب الفروع وصنف ، باتفاق أصحابه الملازمين إلى درسه ، من مشاهير العلماء المجتهدين ، واجتماع أحزابه المختلفين إلى مجلسه من جماهير الفضلاء المتقدمين كالإمام أبى يوسف ، والإمام محمد ، وزفر بن هذيل ، وحسن بن زياد ، وعبد الله بن المبارك ، ووكيع بن الجراح ، وحفص بن غياث ، ويحيى بن زكريا بن أبى زائدة ، وأسد بن عمر القاضي ، ونوح بن أبي مريم وأبى مطيع البلخى ويوسف بن خالد السمتى الذين أكثرهم من رواة البخارى وغيره ، كابن المبارك ووكيع فى آخرين ، رحمة الله عليهم أجمعين .

فمذهبه خير المذاهب ومشربه خير المشارب ، ولنعم ما قيل :

مذهب النعمان خير المذاهب * كالقمر الوضاح بين الكواكب

لفقه فى خير القرون مع التقى * مذهبه لاشك خير المذاهب

ويكفيك فى فضل مذهبه وحسن مشربه ما أنشده تلميذه الشريف وصاحبه العطريف البارع فى الأخبار والآثار القاضى بقضايا سيد الأبرار، الإمام أبو يوسف حماه الله فى آجله كما حماه فى عاجله عما يوسفُ :

حَسْبِى مِنَ الْخَيْرَاتِ ما أَعْدَدْتُهُ * يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِى رِضَى الرَّحْمٰنِ

دِينُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ خَيْرِ الْوَرَى * ثُمَّ اعْتِقَادِى مَذْهَبَ النُّعْمَانِ

ثم أقر بفضله الخصوم ، وسلموا له فى كل العلوم ، حتى قال الإمام مالك حين سئل عنه (عن أبى حنيفة رحمه الله) رأيته رجلا لو كلمك فى هذه السارية أن يجعلها ذهباً لقام بحجته .

وقال أيضاً : إن أبا حنيفة لأهل الفقه خير مؤنس .

وقال الإمام الشافعى : « الناس كلهم عيال على أبى حنيفة فى الفقه » وأنشد فى حقه :

لَقَدْ زَانَ الْبِلادَ وَمَنْ عَلَيْهَا * إِمَامُ الْمُسْلِمِينَ أَبُو حَنِيفَهْ

بِأَحْكَامٍ وَآيَاتٍ وَفِقْهٍ * كَآيَاتِ الزَّبُورِ عَلَى الصَّحِيفَهْ

فَمَا بِالْمَشْرِقَيْنِ لَهُ نَظِيرٌ * وَلا بِالْمَغْرِبَيْنِ وَلا بِكُوفَهْ

إِمَاماً كَانَ لِلإِسْلامِ بَحْراً * أَمِيناً لِلنَّبِى وَلِلْخَلِيقَهْ

وكان الإمام أحمد بن حنبل كثيراً مايذكر فضله، ويترحم عليه، ويبكى فى زمن محنته، وأنشد فى فضل شمائله شعراً:

وَإِنِّى لاَ أُحْصِى ثَنَاءَ خِصَالِهِ * وَلَوْ أَنَّ أَعْضَائِى جَمِيعاً تَكَلَّمُ

وكل واحد من هؤلاء الأئمة ، وإن كان إماماً متفقاً عليه، ولكنهم لم يصلوا ـ ولا غيرهم ـ معشار ما وصل إليه:

وَلَيْسَ عَلَى اللهِ بِمُسْتَنْكَرٍ * أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمَ فِي وَاحِدِ

فأصحابنا الحنفية — عاملهم الله بألطافه الخفية — هم السابقون فى الفقه والاجتهاد ، ولهم الرتبة العليا فى الفقه والحديث والإرشاد ، وهم الربانيون فى علم الكتاب والسنة وملازمة القدوة ومجانبة الهوى والبدعة ، ولزوم طريق السنة والجماعة ، الذى كان عليه الصحابة والتابعون ، ومضى عليه السلف الصالحون .

فالطريق المتباهى فى أصول الشريعة وفروعها على الكمال ، هو طريق أصحابنا بحمد الله المهيمن المتعال ، انتهى إليهم الدين بكماله ، وقام الشرع بفتواهم إلى آخر الدهر بخصاله .

ثم إن من المجتهدين الذين ذهبوا إلى ما يذهبه الإمام الهمام ، وسلموا له الأصول وقلدوه فى الأحكام — هذا المصنف المنصف العلامة الحجة هادى الناس إلى المحجة ، قامع الهوى والبدعة ، الجامع بين التحديث والفقاهة ، الجليل قدره ، والجميل ذكره ، عظيم الشأن ، قوى البرهان ، عالم القرآن ، حافظ أحاديث الرسول إلى الإنس والجان الذى سلم له الفقهاء والمحدثون أجمعون ، ومما أفاد فى مصنفاته البديعة من الفوائد البهية يستضيئون . وفاق الأقران فى الحفظ والإتقان ، وسبقهم فى استنباط الأحكام ، من السنة والقرآن ، الإمام الجليل ، والعالم النبيل ، صاحب معانى الآثار ، وقد يقال له شرح معانى الآثار، الإمام أبو جعفر الطحاوى الحنفي ، رحمة الله عليه مرّ الأيام والليالى .

فمن الواجب علينا أن نذكر ترجمته فى مقدمة كتابه ، كى يطمئن المؤمنون بنباهته ، ويؤمن المنكرون بنبالته ، فأقول — سائلا من الله المنان ـ العصمة فى هذا الشان ، وطالباً منه توفيق تحرير الجمل الجميلة ، فى أثناء البيان ، إذ لا آمن على نفسي من السهو والخطأ والنسيان ، فإنه قلما ينجو منه من أفراد الإنسان آخذاً مما أفاده صاحب الكمال الجلي المحقق المحدث الجلال السيوطى فى (حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة) والحافظ الإمام الذهبي فى التذكرة ، والعلامة الفهامة محمود بن سليمان الكفوى فى طبقاته وصاحب العلم الباهر والفضل الظاهر المحدث المكى على القارئ فى طبقاته ، والعلامة الماهر الشيخ عبد القادر فى طبقاته ، والسمعانى فى أنسابه ، وابن خلكان فى تاريخه والإتقانى فى « غاية البيان » واليافعى فى « مرآة الجنان » .

هو الإمام حافظ الإسلام خاتمة الجهابذة النقاد الأعلام شيخ الحديث وطبيب علله فى القديم والحديث ، أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة بن سليم بن سليمان بن خباب الأزدى الحجرى المصرى ، أبو جعفر الطحاوى الحنفي ، الفقيه الإمام الحافظ ؛ تكرر ذكره فى « الهداية » و « الخلاصة » .

والأزدى ، بفتح الهمزة ، وسكون الزاى المعجمة ، نسبة إلى أزد شنوءة ، وهو أزد بن غوث ، ونسبة إلى أزد ابن عمران ؛ ونسبة إلى أزد الحجر ؛ وهى نسبة أبى جعفر الطحاوى .

والحجرى بفتح الحاء المهملة ، وسكون الجيم فى آخرها راء ، هذه النسبة إلى ثلاث قبائل ، اسم كل واحد منها حجر ، أحدها حجر بن وحير ، وثانيها حجر ذى رعين ، وثالثها حجر الأزد ، منهم الحافظ المصرى الطحاوى ، كان ثقة نبيلا من أوعية الحديث ، كذا ذكره الشيخ عبد القادر فى الطبقات .

وقال المجد فى قاموسه :« ومن حجر الأزد الحافظان؛ عبد الغنى؛ والإمام أبو جعفر الطحاوى » انتهى بلفظه .

والمصرى بكسر الميم وسكون الصاد ، فى آخرها راء ، نسبة إلى مصر ، وسميت بها ، لأنها بناها ، المصر بن نوح ونسب إليها كثير من العلماء ، ولها تاريخ فى أهلها والواردين عليها .

والطحاوى : بفتح الطاء والحاء المهملتين ، وبعد الألف واو ، نسبة إلى « طحا » قرية بأسفل أرض مصر ، ينسب إليها جماعة .

منهم ، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدى الحجرى الطحاوى صاحب « شرح معانى الآثار » .

كان إماماً فقيها من الحنفيين ، ولد سنة تسع وعشرين ومئتين ، ومات سنة إحدى وعشرين وثلثمائة ، صحب خاله المزنى ، وتفقه عليه ثم ترك مذهبه وصار حنفي المذهب وكان إماماً ثقة عاقلا ، لم يخلف مثله ، كذا ذكره السمعانى وغيره ، كان مرجعاً لعلم الحديث ، ووعاء لعلوم الدين ، ذكره السيوطي فى حفاظ الحديث .

قال : « وكان ثقة ثبتاً فقيها لم يخلف بعده مثله ، انتهت إليه رياسة الحنفية بمصر » انتهى .

برع فى الفقه والحديث ، وصنف التصانيف البديعة ، والكتب المفيدة .

قال الشيخ أبو إسحق : « انتهت إليه رياسة الحنفية بمصر » .

وقال غيره : كان شافعي المذهب ، يقرأ على المزنى ، فقال له يوماً « والله لاجاء منك شيء » فغضب أبو جعفر من ذلك ، وانتقل إلى ابن أبى عمران فلما صنف مختصره ، قال : « رحم الله أبا إبراهيم (يعنى المزنى) لو كان حياً ، لكفّر عن يمينه » .

وذكر أبو يعلى الخليلى فى كتاب « الإرشاد » فى ترجمة المزنى : أن الطحاوى ابن أخت المزنى ، وأن محمد بن أحمد الشروطى قال للطحاوى : « لم خالفت مذهب خالك » قال: « لأنه كان يديم النظر فى كتب الإمام أبى حنيفة »، كذا فى « مرآة الجنان » و « تاريخ ابن خلكان » .

قال الذهبي فى « تذكرة الحفاظ » وكان رحمه الله ، ثقة ثبتا ، فقيها عالماً ، لم يخلف مثله .

قال أبو إسحق الشيرازى فى الطبقات : انتهت إلى أبى جعفر رياسة أصحاب أبي حنيفة بمصر » إلى آخر ما أوردناه عن اليافعى .

قال العلامة الكفوى فى الطبقات — بعد ما عده من أهل الطبقة الثانية — من أصحابنا « هو الشيخ الإمام ، جليل القدر ، مشهور فى الآفاق، ذكره الجليل مملوء فى بطون الأوراق » إلى أن قال: « وتفقه فى مذهب أبى حنيفة وصار إماماً ، أخذ الفقه عن أبى جعفر أحمد بن أبى عمران عن محمد بن سماعة عن أبى يوسف عن أبى حنيفة ثم خرج إلى الشام ، فلقى بها أبا حازم عبد الحميد ، قاضي القضاة بالشام ، وأخذ عن أبى حازم ، عن عيسى بن أبان ، عن محمد ابن الحسن ، عن أبى حنيفة .

وكان رحمه الله إماماً فى الأحاديث والأخبار ، سمع الحديث من خلق كثير ، من المصريين والغرباء القادمين إلى مصر ، منهم سليمان بن شعيب الكيسانى ، وأبو موسى يونس بن عبد الأعلى الصدفى .

وتفقه عليه الشيخ الإمام أبو بكر أحمد بن محمد بن منصور الدامغانى ، والشيخ الإمام أبو طالب سعيد بن محمد البردعي، وابنه أبو الحسن علي بن أحمد الطحاوى انتهى.

قال الشيخ عبد القادر فى الطبقات : تفقه أولا على خاله المزنى ، وروى عنه مسند الشافعى ، وسمع الحديث من خلق من المصريين والواردين على مصر ، منهم سليمان بن شعيب الكيسانى ، وأبوه محمد بن سلامة ، ويونس بن عبد الأعلى الصدفى ، شاركه مسلماً وأكثر الرواية عنه ، وجمع بعضهم مشايخه فى جزء وروى عنه الخلق الكثير .

فمنهم أبو محمد عبد العزيز بن محمد التميمى الجوهري قاضى الصعيد وأحمد بن القاسم بن عبد الله البغدادى المعروف بابن الخشاب الحافظ ، وأبو بكر مكى بن أحمد البردعى ، وأبو القاسم ، مسلمة بن القاسم بن إبراهيم القرطبي ، وأبو القاسم عبيد الله بن علي الداودى القاضى ، والحسن بن القاسم بن عبد الرحمن ، وأبو محمد المصرى الفقيه ، وابن أبى العوام القاضى الكبير ، وأبو الحسن محمد بن أحمد الأخميمى ، وأبو بكر محمد بن إبراهيم المقرئ الحافظ .

وسمع منه كتابه « معانى الآثار » إبنه أبو الحسن على بن أحمد الطحاوى ، وأبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبرانى ، صاحب المعجم ، وأبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد المصرى الحافظ ، وأبو بكر محمد بن جعفر بن الحسين البغدادى الحافظ ، المعروف بـ « غندر » فى آخرين من أهل الصلاح والدين ، وجمع بعضهم من روى عنه فى جزء ، انتهى محصل كلامه .

قال العلامة الكفوى: وكان رحمه الله عالماً بجميع مذاهب الفقهاء ، وكان أعلم الناس بسير الكوفيين وأخبارهم .

وقال المحدث القاري فى الطبقات : ونقل عن ابن عبد البر أنه قال : كان الطحاوى كوفى المذهب ، عالماً بجميع مذاهب العلماء .

وقال الإتقانى فى « غاية البيان » لامعنى لإنكارهم على أبى جعفر فإنه مؤتمن لا متهم ، مع غزارة علمه ، واجتهاده ، وورعه ، وتقدمه فى معرفة المذاهب وغيرها ، فإن شككت فى أمره ، فانظر « شرح معانى الآثار » هل ترى له نظيرا فى سائر المذاهب فضلا عن مذهبنا ، انتهى .

مؤلفـــاته

وله رحمه الله تصانيف معتمدة ، ومسانيد معتبرة ، لم يأت بمثلها أحد من الفحول ، وتلقاها أهل الفقه والحديث بالقبول .

فمنها (١) «معانى الآثار» وشرحه بدر المحدثين الإمام العينى، كما شرح البخارى فى مجلدات كبار، واعتنى بأسماء رجاله ، زين المحدثين زين الدين المعروف بابن الهمام ، الثانى الشيخ قاسم بن قطلوبغا الحنفى(٢) و« بيان مشكل الآثار» قال المحدث القارى فى الطبقات : الأول ، أول تصانيفه . والثانى آخر تصانيفه (٣) و « أحكام القرآن » فى نيف وعشرين جزءاً (٤) والمختصر فى الفقه ، وولع الفضلاء بشرحه . وعليه عدة شروح (٥) وشرح الجامع الكبير (٦) وشرح الجامع الصغير (٧) وله كتاب الشروط الكبير (٨) والشروط الأوسط (٩) والشروط الصغير (١٠) وله المحاضر والسجلات (١١) والوصايا (١٢) والفرائض وله (١٣) نقض كتاب المدلسين على الكرابيسي (١٤) وكتاب أصله كتب العزل (١٥) والمختصر الكبير (١٦) والمختصر الصغير وله (١٧) تاريخ كبير وله (١٨) مجلد فى مناقب الإمام الأقدم ؛ وفضائل الهمام الأعظم الأفخم؛ نائل الدرجات العلى بشهادة لو كان العلم عند الثريا كما رواه أهل الفضل

والتقى فخر الأمة المحمدية وناشر السنة المصطفوية ، قوام الفقهاء والمحدثين ، ومعظم أهل الصلاح والدين ، إمامنا وإمام المسلمين ، من لدن عهد التابعين إلى يوم الدين ، أبي حنيفة الصوفي التابعي الكوفي ، رحمة الله عليه ، وعلى من يحبه ويترحم عليه وله (١٩) في القرآن ألف ورقة ، حكاه صاحب الكمال القاضي عياض في الإكمال وله (٢٠) النوادر الفقهية في عشرة أجزاء وله (٢١) الحكايات في نيف وعشرين جزءاً وله (٢٢) حكم أرض مكة وله (٢٣) قسم الفيء والغنائم وله (٢٤) الرد على عيسى بن أبان في كتابه الذي سماه خطأ الكتب وله (٢٥) الرد على أبي عبيد فيما أخطأ فيه ، في كتاب النسب وله (٢٦) اختلاف الروايات على مذهب الكوفيين .

يقول المترجم الراجي شفاعة شافع الأمم وصي أحمد السورتي موطناً ، والحنفي مذهباً ، الذي لاحظ له من الحسنات إلا تعمير ما اندرس من أبنية ألفاظ أخبار سيد المرسلين وتدبير تجديد ما انطمس من أساس آثار خاتم النبيين — إني قد تشرفت من مصنفاته بمطالعة « معاني الآثار » فرأيته وضعه على نمط منشط لم يظفر به أحد من أولي الأخبار وأودع فيه ما يكشف به قناع خرائد الأخبار ويعرف به رموز أبكار الآثار وسرد فيه الأحاديث بألفاظ رائقة تقر بسماعها عيون الأسماع وسلك في سردها مسالك معجبة فائقة تطرب لملاحظتها الطباع ووجدته عيناً تجري منها أنهار الآثار أو محيطاً تتشعب منه بحار الأخبار وشاهدته بحراً فيه فرائد اللآلىء النفيسة وقصراً فيه خرائد الفوائد الشريفة ينطق بفضل مصنفه وقوة حفظه وإتقانه وينادي بأعلى نداء بمهارة مؤلفه في فنون الحديث بحيث لا يكاد يقاربه من سواه من أهل الحديث وقد سلك فيه مسلك خير الأوصاف وتجنب عن طريق الاعتساف ، وأورد فيه ماهو الأليق الأنيق ، ورجح ماهو عنده الحق الحقيق خلاف ما يزعمه بعض الزاعمين من معاصرينا ، وتفوه في بعض مؤلفاته من أنه عزل النظر في بعض المواضع عن التحقيق وسلك المسلك الغير الأنيق .

ولعل منشأ هذا قلة الاعتناء بشأن كلامه أو سوء الفهم في درك مرامه فإن تصانيفه لما فيها من الغموضة والدقة كما لايخفى على المهرة ، لا يظهر على ما فيها ظهوراً واقعياً إلا أولو الطبائع السليمة المجبولة على السلامة ؛

وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلاً صَحِيحاً * وَآفَتُهُ مِنَ الْفَهْمِ السَّقِيمِ

وكيف يظن به ماظن به ، وأنه قد أوتي في علوم الأحاديث والأخبار سعة باع[1] لم يؤت أحد مذ أوتي إلى هذا الآن وأعطي في متون الآثار وطرقها كثرة اطلاع لم يعط أحد منذ أعطي إلى هذا الزمان مع ما رزق من النظر الصائب والفكر الثاقب ولقد فاق من سواه من المحدثين حيث رزق الفقه في الدين وقد قال النبي ﷺ « من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين » ومع هذا فمن أساء الأدب في جنابه الأطهر ، ونسب إلى حضرته عزل النظر ، فهو — في الحقيقة — عازل النظر وفاقد البصر ومن أعمى الله بصر بصيرته ، فلم ير هذه الشمس إلا مظلمة فليبك على نفسه ، وأي ذنب للشمس إن لم يرها الخفاش ؟! .

وليس غرضي من هذا الكلام ، الحط على ذلك الزاعم المرجع للعوام ، فإن هذا من عادة اللئام ، بل الذب عن هذا الإمام ، وتحذير الأنام عن أن يتبعوه في مثل هذا المقام .

---

(١) الباع قدر مد اليدين والجمع (أبواع) .

فيا إخوان الإسلام ، إياكم إياكم أن تذعنوا له فيما أدرج فى مؤلفاته من النقص والحط على العلماء الكرام ، أو أن تسلموا له فيما خالف فيه أساطين الملة وحملة الشريعة ، أئمتنا الفخام .

هذا ، وله — رحمه الله — مناقب أكثر من أن يحصرها الحاصر، كتب العلماء عنها مملوءة ، وأسفار الفضلاء بها مشحونة .

وإنما اكتفينا بهذا القدر من المآثر ، شفقة على الناظر .

قال المترجم : إنى قد حضرت بعد ما فرغت من الكتب الدرسية حضرة سيد الفقهاء ، علامة الزمان ، ترجمان الحديث والقرآن ، حافظ الوقت ، مولانا الحافظ ، الشيخ المحدث ، أحمد على السهارنفورى ، تغمده الله بالغفران المعنوى والصورى ، لتحصيل الفن الشريف ، والعلم المنيف ، الذى أحاديثه خير الأحاديث ، أعنى فن الحديث .

قرأت عليه الأمهات الست ، وموطأ الإمام محمد ، قراءة وسماعة ، ورضي عنى ورضيت عنه ، فأجازنى بمروياته ومسموعاته إجازة عامة ، وأمرنى بتدريسه وبالاشتغال بنشره ، ودعالى بالبركة ، فرخصنى .

وقد منّ الله علي بأن قرأ علي بعد فراغى عنه بعض الأذكياء ، صحيح البخارى ، وسنن ابن ماجه ، وموطأ الإمام محمد ، ووفقنى لخدمة كتبه .

فأول ما ابتدأت به تحشية سنن النسائى ، فجاء — بحمد الله — كما ينبغى ، ثم تصحيح أصل هذا المسند للطحاوي ، وأزينه — إن شاء الله — ببعض تعليقاتى ، وهذا هو مأمولى ، فالحمد لله الذى أنعم علينا بعلم أحاديث خيرالأنام ، وأغنانا وإخواننا الحنفاء بنقود الآثار المروية ، لأبى جعفر الإمام .

وكتب مصححه

المولوي وصي أحمد سلمة الصمد السورتي

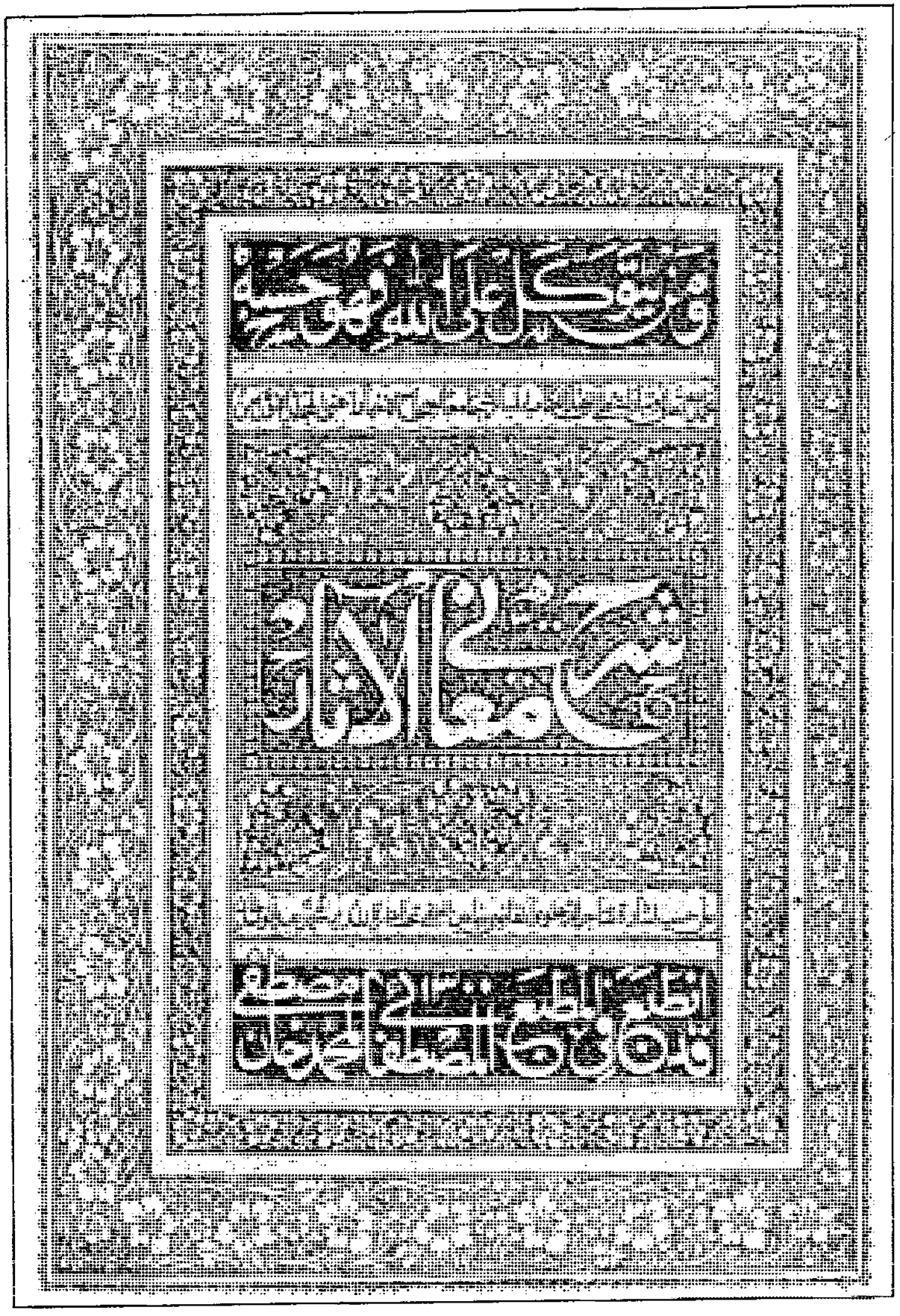

صورة صفحة عنوان الطبعة الهندية